قضية معاوية

تأليف

أحمد محمد مرسي
النقشبندي

مراقب دار الحديث النبوي بالمؤتمر الإسلامي سابقا

The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398
1213113

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ مدرسة تكشف عن مواضع الخطأ و الصواب في المواقف في الماضي و يجعل الانسان على بصيرة في بناء حاضره و مستقبله على الثوابت الاصيلة . ومن هذه المواضيع مسالة الملوكية في الاسلام . فهل كان النبي محمد (ص) ملكاً عربياً ام صاحب رسالة خالدة تفوق المبادى العنصرية و القومية و اللاقليمية؟

من المفكرين من يرى نسيان الاخطاء الماضية و التركيز على النظرة القدسية للماضي فقط و منهم من يرى دراسة الماضي بالنقد و التحليل لكي يتجنب الاخطاء فان شخصية الانسان الحاضرة ترتبط بالماضي شئنا ام ابينا . و مسالة الملوكية في الاسلام ترتبط ارتباطاً مباشرا بموقف معاوية بن ابي سفيان الذى احدث النوع من الحكم لاول مرة في تاريخ الاسلام . قال المصلح الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار في كتابه الوحي المحمدى :

قال أحد كبار علماء الألمان في الاستانة لبعض المسلمين ، وفيهم أحد شرفاء مكة : إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا بسمتا (برلين) قيل له لماذا ؟ قال لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدة الديمقراطية إلى عصبية الذات ، ولولا ذلك لعم الإسلام العالم كله ، وإذن لكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوربة عربا مسلمين ،

الوحي المحمدى ص١٧٩ طبعة القاهرة ١٩٨٨م

و ابدى العلماء بدورهم ارائهم في الموضوع و المواخذات مستمرة و مشتهرة في عصر احمد بن حجر الهيتمي ت٩٧٤هـ حيث كتب تطهير الجنان و اللسان عن سب معاوية بن ابي سفيان كما تنبئ مقدمة الكتاب و كانه نظر الى هذه المساله من زاويه واحدة و غفل ان المسالة ليست مسالة سب بقدر ما هي مسالة تغير نظام الحكم الاسلامي الى الملوكية كما اشار الى ذالك الامام علي (ع) وقد سمع قوما يسبون اهل الشام في حرب صفين قائلا:

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ : اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ

نهج البلاغة طبعة بيروت ١٣٨٧هـ الخطبة ٢٠٦

و كتب في الموضوع السيد محمد بن عقيل العلوى ت١٣٥٠هـ كتابه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية طبع بالنجف الاشرف ١٣٨٦هـ و المولف في هذه الرسالة يدرس بالنقد و التحليل باسلوبه الخاص و حسب اجتهاده قضية معاوية بن ابي سفيان و مواقفه تجاه الخلافة التي ادت الى حرب صفين الحرب الاهلية التي استنزفت القوة البشرة للمجتمع الاسلامي و استهدفت تغيير نظام الحكم الاسلامي و اسفرت عن حكم ملوكي لاول مرة في تاريخ الاسلام. وقد كتبها رحمه الله في الاصل كتعليقات علي كتاب التذكرة في احوال الموتى و امور الاخرة تاليف محمد بن محمد بن ابي بكر القرطبي ت ٦٧١هـ ثم جمعها و ذيل الكتاب بها و طبعت في القاهرة مع الاصل و هذه الطبعة بالاقست منها

و المولف:

هو ابو العباس احمد بن محمد بن مرسى العالم الورع من كبار الصوفية نقشبندى الطريقة. تلقى العلم في الجامع الازهر الشريف على مشايخ كبار منهم الشيخ محمد بخيت و الشيخ محمد ابو راشد و الشيخ محمد امبن البغدادى الكردى اللذى اختص به و كان له صلة وثيقة بشيخنا الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري كما له مريدون على الطريقة النقشبندية وعلى راسهم الشيخ علي بن جمعة جمع الله به كلمة المسلمين.

درس (رح) الحديث بالازهر الشريف و كان يدرس على الخصوص الصحيحين لطلبة العلم كما و شغل منصب مراقب دار الحديث النبوى بالقاهرة. وكان جل اهتمامه كتب القدماء من علماء الحديث و قام بتصحيح و شرح و تعليق كثير من الكتب منها:

١ـ اخلاق النبي(ص) وآدابه تاليف الحافظ ابي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الاصبهاني المعروف بابي الشيخ المتوفى ٣٦٩هـ طبعة القاهرة ١٩٧٢م

٢ـ الاعتقاد للبيهقي ذكره ابن المولف المستشار محمد راشد في ترجمة والده.

٣ـ البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية الي على (ع) تاليف احمد بن محمد بن الصديق الغماري طبعة القاهرة عام ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

٤ـ التذكرة في احوال الموتى و امور الاخرة تاليف محمد بن بن ابي بكر القرطبي ت ٦٧١هـ طبعة القاهرة

٥ـ فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي تاليف احمد بن محمد بن الصديق الغمارى المتقدم طبع مع البرهان

٦ـ الكنز الثمين في احاديث النبي الامين تاليف شيخنا الشيخ عبد الله محمد بن الصديق طبعة القاهره ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م

٧ـ هذه الرسالة.

اما عن تواريخ حياته رحمه الله فقد ولد في عام ١٣١٥هـ-١٨٩٧م بقاهرة مصر بحي الدرب الاحمر و تزوج عام ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م و رزق باربعة ابناء سماهم باسماء مشايخه تقديرا لمقامهم و توفي (ره) اثناء صلاة الفجر يوم السبت شوال ١٤٠٣هـ الموافق ٣١ يوليه١٩٨٢م و دفن بمدافن الاشراف بمنطقة المجاورين ونختم ترجمته (ره) باشعار اوردها رحمه الله في مقدمته للبرهان الجلي في على يظهر انها له

مصطفى المصطفى من الأنبيـــاء ... يا علىّ العـــالين فى الأسماء
يا علىّ العـــالين فى كل وصف ... من صفات الكمال فى الأعلياء
فى الوغى سيفك العـــلىّ العلى ... فى الذهى رأيك البـــلى الضياء
مفرد انت فى السماحة والتقى ... وفى الدين والحجا والذكاء
شهد الله أن شخصك قد كا ... ن أتقى الأشخاص دون مراء
صلة الأرض بالســـماء تجلت ... بل تجلت فى ذاتك العصماء
منذا كنت للخـــلافة أقضى ... كل من حازها بلا استثناء
ليلة الهجرة المنيفـــة تبقى ... لك ذكرى وآية للفـــداء
يا أخا النبى أنعـــم وأكرم ... بإخاء أعظـــم به من إخاء
إنما الناس دائما لم يكونوا ... غير ما هم عليـــه من أهواء

محمد الحسين الحسيني الجلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . . (أما بعد)

للاسلام قضاياه التاريخية الكبرى التي لاتزال تستثير الافكار . وتستوقف الأنظار على أننا لانعرف في هذه القضايا واحدة بقيت لها حدتها على إثارة الجدال وشحذ الرجال إلى كثرة القيل والقال . مابقيت قضية معاوية بن أبي سفيان .

لاجرم أن هذه القضية منذ نشأتها كانت نضالية . وأنها لكذلك تمضي أجيال وتأتي أجيال وهي على هذه الحال . هذا مع مالها من الاهمية فضلا على أنها كانت السبب في كل رزية حلت بالاسلام في جميع أقطاره . كما كانت مبعث الخلاف الذي بقي حتى اليوم بلا إيلاف في شتى ديار وأمصاره . وناهيك أنها كانت مثار النزاع والصراع الذي قضى على الخلافة الراشدية وأوقع بالامة الإسلامية في مخالب الملك العضوض وبراثن الملكيات الاستبدادية مما كانوا يسمونها أحيانا بالخلافة الاموية أو العباسية أو الفاطمية الحاكمية أو العثمانية إلى آخر هذه الاسماء التي ماانزل الله بها من سلطان . والتي مازال الاسلام يعاني بلاءها ولا يستطيع الانفكاك من أثارها وعقابيلها حتى الآن .

ولكن لماذا تبقى هذه القضية معلقة تاريخة ؟ كأنها مجرد مسألة فكرية أو اجتماعية مع أنها من أهم القضايا الدينية . ولماغاب قاضيها حتى يقضي على هذه البلبلة الروحية التي لازمت الامة . منذ نشأت هذه الغمة . فازدرعت الشكوك في عقول ناشئة المسلمين وجعلت الشقاق وعدم الوفاق فهم كانه أحد اصول الدين أو هو ميراث الآباء الذي يجب الاحتفاظ به عند الخلف الصالح من البنين .

لايمكن ان يقال أن هذا القاضي الفاضل لم يوجد في الموحدين . فإن هذا غير معقول وهذه أرضنا بحمد الله مازالت تنبت الزان والعوسج والبقول . بل ربما يقال ان هذا ليس لقلة القضاة في هذه الملة . ولكن ربما يكون لعدم رجحان الأدلة . ولعمر الحق ما هذه بعلة . وانما هي تعلة ولا مثل هذه القضية أنصع بيانا ولا أرجح ميزانا ولا أجلى برهانا . ولا كانت المسألة على هذا الوجه وإنما رأيها الارجح وقولها الأصح . هو أن القاضي المعول عليه في مثل هذا الشأن إما أن يكون من أعوان السلطان . والسلطان في كل زمان ومكان هو السلطان الذي لايحب أن يظهر لمثل هذه القضية برهان . وإما أن يكون رجل من أصحاب الورع التهكمي الذي عناه سيدنا عمر حين قال لمثله (ما هذا الورع الأعجمي) ولا شك أنه إذا

يكون من مغاليب الدين. ألا (إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين) بيد أن الحق الذي لا مرية فيه، أنه ما استوقف هؤلاء السادة الورعين عن اعلان الحكم في هذه القضية إلا خشيتهم من مجابهة الحديث النبوي الشريف «لا تسبوا أصحابي». وكأنهم أطلقوه على جميع الصحاب وحكموا أن كل من أسلم وشرف بمجالسة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولو لحظة فإنه من الواجب أن يعد من الأصحاب وهكذا استغلق عليهم الحكم في قضية معاوية منذ جاءوها من هذا الباب هذا هو الوجه في هذه المسألة بل هذا هو سرها واللباب.

ويشاء الله تعالى أن انهض إلى تحقيق (كتاب التذكرة) وإذا بي لا أجد فيه أي ذكر لمعاوية إلا وأجدني مدفوعا إليه تبيانا وتوضيحا واضعا، على هوامشه من التبيين والتحقيق مالا معقب عليه (ولا إخاله بإذن الله مما سبق إليه.) حتى إذا انتهيت إلى آخر هذا الكتاب وبدا لي أن أعيد النظر إلى هذه التعليقات فإذا هي طائفة منتقاة من أصح الأحاديث الشريفة، والآثار النبوية المنيفة. وإذا هي في نظري أيضا ما هي إلا غاية الغايات. للحكم في قضية معاوية بالذات، وكذلك حدثتني نفسي انني في هذه الصفحات ... (إن لم أكن على حد تعبير المحاماة في هذا العصر)، قد جئت بحيثيات الحكم في قضية معاوية ومكانته فإني بلا أدنى ريب قد جئت بأهم المستندات الصالحة لإقامة الدعوة العامة عليه. أما بعد هذا البيان البيان فإننا نود أن نقول أن هذه المجالة لا نزعم إنها رسالة. وإنما غايتنا المرتجاة هي إننا ما دمنا لم نستطع الوصول إلى مرتبة الاجتهاد، فلا أقل من أن نصل بأنفسنا إلى صفوف أهل الجهاد. فلا يتزيدن علينا أحد من القراء. ولا يتهمنا بما نحن منه براء. وإنما نقول لمن شاء. أن يرى في عملنا ما شاء. وأننا على أتم استعداد لمن أراد أن يبادلنا الرأي والسداد. أما من استعجل وانحنى إلى الحذلقة. وأخذ يرمي الناس كعادته بالزندقة. أو المرطقة. فإن عندنا لكل صاع صاعين ومن تقدم لنا ذراعا سعينا له بذراعين والسلام على من اتبع أهدى السبيلين. فراجعوا الحسنيين ورحمة الله وبركاته.

ألم أقل غير ما حسبت مفيدا ... ليت شعري هل قلت شيئا مفيدا.

أحمد

« أولا »

روى ابن أبى الدنيا عن الحسن مرسلا « ثلاثة لا تحرم عليك أعراضهم المجاهر بالفسق والإمام الجائر والمبتدع (١) » هذا الأثر وإن كان ضعيفا فهو مؤيد بالقاعدة العامة التى قررها علماء الفقه الإسلامى . وهى . ان الغيبة تجوز فى سبعة مواضع وهى التظلم. والاستعانة .والاستفتاء. والتحذير. والتعريف. والتجريح(٢) ومجاهرة الفسق . وللشوكانى صاحب كتاب « نيل الأوطار » رسالة خاصة فى بيان المواضع المذكورة التى تجوز فيها الغيبة . وبين أنها قد تجب فى مواضع منها . كالتحذير من شخص يظن فيه الصلاح أو الأمانة وهو بخلاف ذلك .

---

(١) ينبغى التقرب إلى الله بهجرهم ومقاطعتهم قال الحسن البصرى رضى الله مصارعة الفاسق قربان إلى الله عز وجل. وسئل الامام أحمد رحمه الله تعالى : أيزجر الرجل على بعض ما خالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أى والله والحافظ السيوطى رحمه الله تعالى رسالة مطبوعة (الزجر بالهجر) أورد فيها آثارا صحيحة تتصل بهذا الموضوع صلة وثيقة (ارجع إليها إن شئت)

(٢) اى نسبة الشخص إلى بدعة كالاعتزال والقدر .

« ثانيا »

بناء على ما سبق يجوز كشف حال المتظاهر بالصلاح وهو فى الباطن غير صالح بل قد يكون من النصيحة الواجبة . فان العلماء صرحوا بوجوب بيان حال الرجل عند الزواج أو المعاملة وكشف ما فيه من العيوب حتى لا يغتر به . فمن باب أولى يجب كشف حال من يغتر به فى الدين . لأن حذر الاغترار فيه أعظم من حذره فى الزواج أو المعاملة ومن هنا رأى علماء الحديث النبوى الشريف . قال الحافظ الكبير يحى بن معين إننا نجرح رجالا لعلهم حطوا رحالهم فى الجنة منذ سنين . وقال له تأمل : ألا تخاف ان يكون الذين جرحتهم خصماء لك يوم القيامة فقال لئن يكونوا خصماء لى أحب إلى من أن يكون المصطفى صلى الله عليه وسلم خصمى يقول لم لم تذب عن شريعتى .

« ثالثا »

ما قرره الجمهور من أن الصحابة كلهم عدول فيه إبهام يجب توضيحه . ذلك أن العدالة معناها : اجتناب الكبائر جملة . واتقاء الصغائر غالبا . (١) لكن

---

(١) هذا معنى العدالة فى اصطلاح الأصوليين والفقهاء والمحدثون معهم فى ذلك . الا أنهم لما كان اعتمادهم فى رواية الحديث على ثقة الراوى وإتقانه . وكان فى الصحابة وكثير من الرواة من أصابه بجرح لبعض أعماله لبغى أو بدعة . ولم يتطرق إلى صدق خبره شك أو تجوز العدالة بمعنى أن الراوى قد يكون صادقا فى خبره متقنا لروايته فيروون عنه وإن كان فاسقا من جهة بغية أو معصية ارتكبها وعلى هذا الأساس أحتجوا بأحاديث من أشرنا إليهم لقيام الدليل على صدقهم فى رواياتهم : وأكثر من هذا أنهم رووا حديثا عن كافر (فى رأى الجمهور) لقيام الدليل على صدقه فقد جاء فى بعض المسانيد عن أبى طالب أنه قال . حدثنى ابن أخى محمد بن عبدالله أن من مات وهو يشهد أن لا اله إلا الله دخل الجنة . (أما أنا شخصيا فاعتقد إيمانه كما سمعت من شيخى المرحوم الشيخ محمد راشد رحمه الله مستدلا بأدلة عظيمة مقنعة ثم سمعت ما أعجبنى وأطربنى من شيخى أمام العارفين السيد محمد أمين البغدادى رضى الله عنه ما يؤيد ذلك) فمعاوية وأعوانه عدول عدالة جزء —

المراد بها فى الصحابة ورواة الحديث عموما جزء منها وهو اجتناب الكذب ، والدليل على ذلك أمور : (١) أن أهل الحديث جرحوا بسر بن ارطاة لما ارتكبه من القتل والظلم فى اليمن أيام ولايته عليه من قبل معاوية . مع أنه صحابى خرج له أصحاب كتب السنة حديث : اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة .

(٢) إن سمرة بن جندب . جاب الخمر وباعها فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فنهاه وأغلظ له القول فأقلع عن جلبها . (٣) إن أبا بكرة . وهو صحابى فاضل حين شهد على المغيرة بالزنا ولم يتم نصاب الشهادة جلده عمر حد القذف . وقال له : تب أقبل شهادتك . فأبى أن يتوب . وردّ عمر شهادته طول حياته . ومع ذلك احتج الأئمة بأحاديثه وأحاديث سمرة بدون خلاف . (٤) إن أهل الحديث متفقون على الاحتجاج بأحاديث المبتدعة كالخوارج والمعتزلة والإباضية وغيرهم والابتداع فسق ينافى[1] العدالة (٥) إن علماء الحديث عدوا من المبتدعة طائفتى الشيعة والنواصب وهاتان الطائفتان موجودتان فى الصحابة . فمن الأولى سلمان الفارسى وعمار والمقداد وجابر وأبو ذر وأبو أمامة رضى الله عنهم ومن الثانية معاوية وعمرو بن العاص وسمرة وبسر بن ارطاة وجرير بن عبدالله البجلى والمغيرة . وأحاديث الطائفتين مخرجة فى الصحاح محتج بها عند الجمهور (٦) إن أهل الحديث حينما يعدلون شخصا ليؤخذ عنه يقولون . فلان ثقة أو حجة أى لا يكذب ولا يقولون صالح أو عابد مثلا . بل قد يضعفونه بصلاحه . فيقولون . أدركته غفلة الصالحين فلا يؤخذ عنه وهذا الامام مالك يحكى أنه أدرك فى المدينة المنورة سبعين شيخا لو ائتمن أحدهم على بيت المال كان أمينا عليه ولو دعا الله أجابه ومع

— وهى الصدق فى الرواية . وهذا واضح لمن مارس علم الحديث وعرف صنيع أهله فى كتبهم وتخريجاتهم .

(١) بمعناها المعروف عند الفقهاء . ولا ينافيها بمعنى اجتناب الكذب على ما سبق بيانه .

ذلك لم يرو(١) عنهم . لأن الصلاح شغلهم عن إتقان الرواية فخلطوا فيها
(٧) إن الكذب معيب عند الناس عموما وعند العرب خاصة. فقد كان العرب في أيام الجاهلية يرتكبون الموبقات كالشرك والزنا ووأد البنات ومع ذلك كانوا يستعيبون الكذب ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بالحقيقة وهو مشرك يبغض النبي صلى الله عليه وسلم . وقال لولا أن يمسكوا على الكذب لكذبت عليه .

« رابعا »

اذن فكشف حال معاوية والكلام فيه بأنه ناصبي ورأس البغاة . الخارج على الامام الحق وبيان ما ارتكب من المظالم بنفسه أو بواسطة أعوانه لامحظور فيه . بل هو وضع للامور في وضعها الصحيح . وارجاع الحق إلى نصابه اتباعا لصحيح القرآن الكريم قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . وقال سبحانه : أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا . المراد بالفاسق في الآيتين الوليد بن عقبة وهو صحابي . ومعاوية يستحق وصف الفسق مثله لأمور حكى الامام النووي في شرح صحيح مسلم الاجماع على أن معاوية كان باغيا والباغي فاسق (٢) أنه كان ناصبيا . والنصب بدعة (٣) أنه ابتدع (٢) لعن علي كرم الله وجهه على المنبر في خطبة الجمعة حتى قطع ذلك الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز واستبدل به قوله تعالى: إن الله يأمر بالعدل والاحسان الآية . وفي الحديث الصحيح سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (٤) أنه ابتدع القتل على المخالفة في الرأي(٣)

---

(١) واكثر من الرواية عن الزهري الثقة الحجة وإن كان قد دخل في شئون السلطان ولبس زي الجند وعمل غير ذلك مما عابه عليه الورعون من طبقته .

(٢) ولقد بلغ من جرأته أن طلب من سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يسب عليا كرم الله وجهه كما في صحيح مسلم لكن سعدا صفعه بذكر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل علي رضي الله عنه ومعلوم أن من لعن من لا يستحق عادت لعنته عليه . فمعاوية ملعون بلسانه ولسان أعوانه .

(٣) ثبت في الصحيحين وغيرهما حديث : ما من أحد يقتل ظلما الا كان —

فقد قتل الصحابي الجليل حجر بن عدي صبرا لأنه حصب واليه بالمدينة وهو على المنبر لمخالفته السنة . وعنفته السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على قتله تعنيفا بالغا (٥) أنه عقد البيعة لابنه(١) يزيد وهو يعلم أنه لا يصلح وأن في المسلمين من هو أحق منه لفتك المسلمين بتوليته غير الصالح وابتدع توريث الملك (٦) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الخلافة بعدي ثلاثون (٢) سنة ثم تكون ملكا عضوضا . وهذه إشارة صريحة لمعاوية ووصفه بكثرة الظلم المعبر عنه بعضوض. وهي صيغة مبالغة وتكثير (٧) أنه استعمل وسائل غير مشروعة للوصول إلى أغراضه كنقض العهد ودس السم ونحو ذلك وهو الذي قال : إن لله جنودا من العسل. حين علم أن خطته التي دبرها لقتل الأشتر النخعي بوضع السم له في العسل نفذت بنجاح

« خامسا »

لهذا ولغيره كثير جدا صح عن الإمام علي كرم الله وجهه وعن غيره من سادات الصحابة تجريح معاوية وأعوانه والتصريح بأنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن بل صرح علي رضي الله عنه بأن معاوية دخل في الاسلام كرها وخرج منه طوعا .

قلت : ومن الكبائر التي ارتكبها معاوية استلحاقه لزياد وهو يعلم أنه أتى لغير رشده. ثم أنه من مسلة الفتح المعروفين بالطلقاء (٣). على أن من هؤلاء الطلقاء من

ـــ على ابن آدم كفل من الوزر لأنه أول من سن القتل وعلى وزان هذا القول كل قتل على مخالفة الرأي يحصل في هذه الأمة يكون على معاوية كفل من وزره لأنه أول من سنه.

(١) شريكه في هذه البيعة الخاسرة . المغيرة بن شعبة لأنه الذي أشار عليه بها

(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث سفينة . وقد حسبت المدة فتمت ثلاثين سنة بما فيها ستة أشهر مدة خلافة الحسن بن علي عليهما السلام .

(٣) لقب مسلة الفتح يشعر بتأخر إسلام صاحبه إلى حين الجيء إلى الإسلام تحت ضغط القوة وكذا لقب الطلقاء يشعر بضمة الأسر وذلة المزيمة . ولما كان ـــ

٨ حسن إسلامه وصح إيمانه فأخير عنه العلماء بأنه أسلم عام الفتح وحسن اسلامه . مثل حكيم بن حزام . ولكن معاوية لم يحسن إسلامه بدليل ما ارتكبه من الآثام . ولم يحضر غزوة تبوك ولا غيرها على الصحيح عند العلماء بالحديث والسيرة النبوية ولا ثبت فى فضله حديث صحيح ولا ضعيف . قال الإمام اسحاق بن راهوية لم يصح فى فضل معاوية شيء . وضرح بمثل هذا المعنى غيره واحد من علماء وحفاظ الحديث كما فى اللآلئ المصنوعة للحافظ السيوطى رحمه الله . بل هو متفق عليه بين الحفاظ كما فى (كتاب لذة العيش بطرق حديث الأئمة من قريش) للحافظ ابن حجر وكتاب (الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة) للحافظ الشوكانى ولما ألف الإمام النسائى صاحب السنن كتاب (خصائص على) طلب منه أن يكتب مثله فى فضائل معاوية . فقال لا أعرف فيه إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا أشبع الله بطنه) (١) فضربوه بالنعال وعصروا خصيتيه فمات شهيدا رحمه الله

— كثير ممن أسلم يوم الفتح يقول تقدم اسلامه عن هذا التاريخ وانما تأخر إظهاره لظروف دعت إليه . وقد ادعى بعض النواصب أن معاوية أسلم خفية قبل الفتح وهذه فرية ما فيها مرية . لو ادعاها معاوية نفسه قامت الأدلة تنادى بكذبه لأن بيت أبى سفيان ظل يتزعم محاربة النبي صلى الله عليه وسلم وعداوته إلى يوم الفتح فأسلم أبو سفيان وعائلته يومئذ . بعد أن أخذله العباس الأمان من النبى صلى الله عليه وسلم . وكان إسلاما يعلم الله حقيقته وظهر بعد ذلك فى مناسبات كلمات من أبى سفيان تترجم عما فى قلبه من بغض دفين وما واتت الفرصة لمعاوية حتى حول ما كان يكنه أبوه من بغض وحقد مكبوت إلى حربه شنها عمياء على سيد أهل البيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقد در القائل : —

عبد شمس قد اضمرت لبنى ها شم حربا يشيب منها الوليد
فابن حرب للمصطفى . وابن هند لعلى . وللحسين يزيد

(١) سببه أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعث إليه يطلبه . فوجده يأكل ثم بعث إليه ثانيا وثالثا وهو يأكل فقال (لا أشبع الله بطنه) وقد استجيب فيه الدعاء فكان كثير الأكل لا يكاد يشبع وكان يشق عليه صوم رمضان لأنه بالجوع . فاخترع له طبيبه الكنافة المحشوة وأمره أن يأكلها فى السحور (اقرأ منهل اللطائف للحافظ السيوطى رحمه الله) وإياه عنى الشاعر بقوله . —

ورضى عنه . ولكن النواصب (أخزاهم الله) اخترعوا ودلسوا أحاديث فى فضله ودسوها فى كتب الفضائل . ففضحوا أنفسهم وكشفوا عن حقدهم وعداوتهم لأمير المؤمنين باب مدينة العلم كرم الله وجهه . روى ابن الجوزى من طريق عبدالله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبى ماتقول فى على ومعاوية ؟ فأطرق ثم قال : أى شىء أقول فيهما . أعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتشوا أعداؤه عن عيب له فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كيدا منهم لعلى عليه السلام . ويؤيد هذا الكلام الصادر عن هذا الامام الورع الجليل ما صح عن على عليه السلام أنه قال : لا يجتمع حبى وحب معاوية فى قلب مؤمن أبدا . وفى سنن الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال . كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا فلم يرد فى معاوية الا هذا الأثر الذى يدمغه بالنفاق (١) نعم . صح حديثان فى شأن معاوية وأعوانه أحدهما حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم إن من أصحابى من لا أراه ولا يرانى بعد أن أموت أبدا (٢) رواه الامام أحمد وزاد فبلغ الحديث عمر رضى الله عنه فأتاها يشتد ويسرع فقال . انشدك الله أنا منهم قالت لا وان أبرىء بعدك أحدا . فهذا الحديث لا يصدق الا على معاوية وأعوانه لما ارتكبوه من بدع ومخالفات أنكرها الصحابة رضى الله عنهم وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما أظن فلانا

— إذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد لها أبدا ما دام فيها الجراضم

الجراضم الأكول العظيم البطن .

(١) ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه قال لعلى . لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق . ومن هنا حكم العلماء بنفاق ابن تيمية أيضا لثبوت انحرافه عن على عليه السلام راجع ترجمته فى الدرر الكامنة الحافظ أمير المؤمنين ابن حجر رضى الله عنه .

(٢) يؤخذ من هذا الحديث أن من الصحابة من يحرم رؤية النبى صلى الله عليه وسلم وإن دخل الجنة . وهذا كما يحرم لابسوا الحرير فى الدنيا من لبسه فى الجنة وليس أحق بحرمان رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ممن حارب أهل بيته وبدل سنته وخالف شريعته .

وفلانا يعلمان من ديننا شيئا . البخاري والترمذي . وقد وضح بعض كبار حفاظ السنة أنهما معاوية وعمرو بن العاص . كذلك حديث : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي فطلع فلان. وكان عبد الله بن عمر ترك والده يتهيأ للحضور فخاف على أبيه فطلع فلان . وجاء في مسند الحارث بن أسامة أو محتمل في تاريخ واسط أن فلانا أي معاوية. (فالداعي إلى خفاء الإسم صراحة (معاوية) خوف الراوي من بطشهم) قال الله تعالى (أفمن كان على بينه من ربه كمن زين له سوء عمله) وقال سبحانه (ذلك أنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا أسباط بن نصر عن السدي عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال. لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم ومعنى هذا الحديث (كما قاله ابن أبي شيبة في مسنده) هو أن النبي عليه الصلاة والسلام بين أنه لا يحارب عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام إلا من كان عاصيا لله مستحقا أن يحاربه النبي صلى الله عليه وسلم وأولياؤه من المؤمنين . وبين أن على المؤمنين أن يحاربوا من حارب هؤلاء كما أن على المؤمنين — أن يحاربوا كل من حاربه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو دلالة على أن معاوية وسائر من حارب معه عليا من أهل الشام كانوا على ضلال وباطل . وأنه كان يجب على المسلمين محاربتهم مع علي . وكذلك من حارب عليا من أهل البصرة والخوارج الذين حاربوه يوم النهروان كانوا جميعا على باطل. وكان علي أولى بالحق منهم . وأن الذين حاربوا الحسين عليه السلام من أهل الشام كانوا على باطل . وأن الذين حاربوا حسينا عليه السلام حتى قتلوه كانوا على باطل. وأن حسينا كان أولى بالحق منهم وأنه كان يجب على المسلمين أن يحاربوا معه الخ . ثانيهما حديث الحوض وهو مخرج في الصحيحين بطرق متعددة وفي بعض رواياته ليردن علي الحوض قوم أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول يارب أصيحابي أصيحابي فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك : فهذا الحديث نص في معاوية وأعوانه لأمرين. أحدهما أصيحابي فان هذا اللفظ للصغر يفيد تقليل صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاوية وأعوانه ما صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلا قليلا ثانيهما قوله لا تدري ما أحدثوا بعدك ومعاوية وأعوانه أحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم بدعا ومنكرات ينكرها ولا يعرفها من سنته ولا من دينه ولهذا ندم الإمام

مالك على رواية هذا الحديث فى الموطأ وكان ينهى عن روايته للغرباء الواردين للمدينة من الحجاج وغيرهم وما ذاك إلا لأنه كان يراه صريحا فى معاوية ومن معه .

« سادسا »

أما أفضلية القرن الأول على الثانى والثانى على الثالث فانما هى بحسب المجموع (١) لا الأفراد كما اختاره الإمام الحافظ بن عبد البر . وعلى هذا يمكن أن يكون فيمن يأتى بعد الصحابة من هو أفضل من بعضهم كما صرح به الإمام القرطبى واستدل لذلك بالأحاديث (أحدها) حديث مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه . ثانيها . حديث عبد الرحمن بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليدركن المسيح أقواما إنهم لمثلكم أو خير منكم ثلاثا . ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها . رواه ابن أبى شيبة باسناد حسن (ثالثها) حديث أبى جمعة الأنصارى قال . قال أبو عبيدة يا رسول الله أحد خير منا . أسلمنا معك وجاهدنا معك قال (قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يروني صححه الحاكم . (رابعها) حديث أبى ثعلبة مرفوعا تأتى أيام للعامل فيهن من الأجر خمسين قيل منهم أو منا يا رسول الله قال بل منكم الحديث (٢) وروى أن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر أن اكتبوا إلى سيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها فكتب إليه سالم أن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر لأن زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر . وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل ما كتب سالم .

---

(١) فهو من باب الكل المجموعى كما يقال فى علم المنطق . ولابن العربى رأى فى هذا الموضوع ذكره فى الأحكام .

(٢) بقية الحديث (لأنكم وجدتم على الدين أعوانا وهم لم يجدوا أعوانا) وأكبر عون وجده الصحابة مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم والرجوع إليه فى كل ما ينوبهم . هذا إلى جانب العشرة المبشرة رضى الله عنهم . ولهذا قال سالم لعمر ابن عبد العزيز وليس زمانك كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر . لا جرم كان فى تمسك المتأخرين بدينهم مع ضعف اليقين وفقدان العون والنصير أعظم الأجر .

والقول الفصل فى هذا أن الصحابة طبقات متفاوتون فمنهم العشرة المبشرة (١) ومنهم المهاجرون وهم نوعان من هاجر الهجرتين (إلى الحبشة وإلى المدينة) ومن هاجر إلى المدينة ومنهم الأنصار وهم أيضا نوعان . أصحاب بيعة العقبة وأصحاب بيعة الرضوان ، ومنهم البدريون . وأهل أحد . ومنهم من شهد المشاهد كلها أو بعضها ومنهم من شهد حجة الوداع . وآخر هذه الطبقات من أسلم عام الفتح أو بعده . ولم يشهد غزوة ولا سرية . أو شهدها ولم يحصل قتال . والآيات الواردة فى مدح الصحابة تنزل على الطبقات السابقة على الفتح . فقد ذكر الله تعالى فى القرآن أهل بدر . وأهل أحد والمهاجرين والأنصار وأهل غزوة بنى قريظة وبنى النضير والذين شهدوا حجة الوداع وأهل الحديبية وحنين ثم بين فضل هؤلاء الطبقات بقوله سبحانه (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أفادت الآية امتيازهم على من سواهم بشيئين (١) الإنفاق فى ذات الله (٢) القتال فى سبيل الله . وهذان الأمران لا يتيسران لمن بعدهم أبدا كائنا من كان . لأنهما حصلا بحضور النبى عليه الصلاة والسلام وبرضاه وكانا سببا هاما فى نصر الإسلام وإعلاء كلمته وتثبيت دعائمه وقوله صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا أصحابى (٢) خطاب لخالد بن الوليد الذى سب عبد الرحمن بن عوف لخصومة كانت بينهما . وخالد أسلم فى السنة السابعة وله

---

(١) وهم أفضل الصحابة يليهم المهاجرون ثم البدريون وهكذا على الترتيب وآخرهم مسلمة الفتح ومن فى طبقتهم ممن لم يتشرف بمجالسة النبى صلى الله عليه وسلم واستماع حديثه والتأسى بأخلاقه والجهاد معه ، ومن الصحابة من لم ير النبى صلى الله عليه وسلم إلا ساعة إسلامه وعاد إلى أهله ولم يتيسر له مقابلته بعد ذلك كما حصل لكثير من الوفود الذين وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا وسمعوا ما تيسر من القرآن ومن الأحكام ثم عادوا إلى ديارهم .

(٢) تمامه (فلو أن أحدكم أنفق مل‌ء أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) أفادت هذه الجملة أن أنفاق مثل جبل أحد ذهبا من غيرهم لا يساوى نصف مد من أحدهم وهذا يؤكد ما قلناه . وكذلك قال الحافظ ابن حجر أنهم أصحاب خصوصون إذ الخطاب لخالد بن الوليد فلا يصح حمله على العموم .

مواقف تشهد ببطولته وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا من سيوف الله . ولكن حين سب أحد العشرة خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم خطابا يفيد أنه ليس من الصحابة ليشمره بالفارق البعيد بين طبقته وطبقة العشرة الذين هم أفضل الصحابة . أما الذين أسلموا يوم الفتح أو بعده فقد يوجد فيمن يأتي بعدهم من يكون أفضل من بعضهم كما تشير الآية الكريمة قال تعالى (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) فاضلت الآية بين الذين انفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده ولفظ بعد في الاية يشمل المنافقين والمقاتلين بعد الفتح إلى يوم القيامة . فيؤخذ منه أن من أنفق وقاتل من التابعين ومن بعدهم يكون أفضل مما أسلم يوم الفتح أو بعده لم ينفق ولم يقاتل . كمعاوية وأبيه . (١) والخلاصة أن الصحابة الذين نوهت الايات والاحاديث بشأنهم ولا يلحق شأوهم في الفضل هم من قبل الفتح على اختلاف طبقاتهم ، أما من بعد الفتح فيمكن لحوقهم في الفضل وعليهم تحمل الاحاديث (٢) التي أحتج بها القرطبي رحمه الله تعالى .

---

(١) وما يقال أن معاوية كان من كتاب الوحي ليس بصحيح غاية ما في الأمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بكتابة خطاب أو خطابين وهو بمكة قبل عودته من فتحها إلى المدينة . ولم يكتب آية واحدة ومن الدليل على ذلك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لما أرادا جمع القرآن كلفا زيد بن ثابت بجمعه باعتبارة كاتب الوحي ولم يكلفا معاوية ولا استعانا به في شيء من ذلك . وكذلك عثمان رضي الله عنه حين أراد كتابة المصحف الإمام كلف زيدا أيضا وسعيد بن العاص ولم يعرج على معاوية مع أنه ابن عمه . وحديث أن أبا سفيان طلب (يوم اسلامه) من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه خصالا . أن يتخذ ابنه معاويه كاتبا وأن يزوجه أم حبيبة . الخ . . فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما طلب فهو حديث موضوع كما قال الإمام الحافظ ابن حزم . والنبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة رضي الله تعالى عنها وهي بالحبشة أصدقها عنه النجاشي رضي الله عنه وأبوها أبو سفيان كان مشركا يومئذ هو وأهل بيته . وهذا الحديث أحد حديثين موضوعين وقعا في صحيح مسلم والحديث الثاني (خلق الله التربة يوم السبت) ولم يخرجهما البخاري لأنه كان أدق نظرا وأعرف بالعلل من تلميذه مسلم .

(٢) وهي ظاهرة في ذلك لمن تأملها بإنصاف وهل يعقل أن يكون يسر بن ارطاة أو معاوية أو سمرة أو المغيرة أفضل من سعيد بن المسيب أو الحسن البصري أو أويس القرني أو زين العابدين . رضي الله عنهم

أما دعوى اجتهاد معاوية فى محاربته عليا عليه السلام فهى دعوى باطلة تدرع بها النواصب لتسويغ مافعله من آثام ومنكرات . لاعلاقة لها بالإجتهاد . والحقيقة العارية عن زخارف المبطلين هى ما أشار إليه العلامة المقريزى فى كتابه « النزاع والتخاصم » أنه كان بين بنى هاشم وبنى أمية فى الجاهلية تنافس وتنازع على الزعامة التى كان يتوارثها بنو هاشم فى شئون البيت الحرام من سقاية وحجابة واطعام وغير ذلك من المكارم والمحامد . مع ما كانوا يتمتعون به من وجاهة فى الجسم وسماحة فى الخلق وكرم فى اليد وفصاحة فى اللسان (وزادهم فى الخلق بسطة) وكان بنو امية يحقدون عليهم . لأنهم جبلوا على الضد من هذه الصفات (ولله فى خلقه شئون) فلما أكرم الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بنبوته واصطفاه لرسالته وأيده بمعجزاته . وأظهره على العرب دخلوا فى دينه وتنوسى الحقد فى غمرة ظهور الإسلام . وتوالى نزول الوحى وتتابع دخول الناس فى دين الله أفواجا . ولما انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى . وانقطع الوحى ولتهت المعجزات وظهر الخلاف بين الصحابة فى أمر الخلافة هل تكون فى المهاجرين أو الأنصار وبدأت أحقاد الجاهلية تطل برؤسها . حيى ماماث من حقد بنى أمية . وقام معاويه يشفى حقده من على عليه السلام بحجة المطالبة بدم عثمان مع أنه تباطأ فى نصرته عمدا وهو قادر عليها لغرض فى نفسه وهو شفاء غيظه وإقامة ملكه . بدليل أنه لما تم له الملك لم يقتص من قتله عثمان ولا سأل عنهم هذا وهو يعلم أنه لا يلحق شأو على عليه السلام فى علم أو عمل أو شجاعة أو سخاء بل ولا فى شىء من المكارم بل كان كبار الصحابة يعترفون بتفوقه عليهم ناهيك بقول سيدنا عمر رضى الله عنه اعوذ بالله من قضية ليس لها أبو حسن . ويقول فيه ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت رضى الله عنه : —

كل خير يزينهم فهو فيه ... وله دونهم خصال تزينه

وهذا مثل قول ابن عباس رضى الله عنهما . سلم الصحابة لعلى تسعة أعشار العلم وشاركهم فى العشر العاشر . ولم يرد فى فضل أحد من الصحابة من الأحاديث مثل ما ورد فى فضله كما يقول الإمام احمد . يكفى أن نذكر منها فى هذا المكان ثلاثة أحاديث (١) قوله عليه الصلاة والسلام يخاطبه (أنت منى بمنزلة هارون من موسى

الا أنه لا نبي بعدي) رواه الشيخان وله طرق كثيرة (١) ألردها الحافظ ابن عساكر بجزء خاص (٢) حديث غدير خم وهو مكان نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من حجة الوداع ومعه الصحابة فجمعهم وسألهم (ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ ثلاثا قالوا بلى . فأخذ بيد علي وقال (من كنت مولاه فعلي مولاه) (٢) فقال له عمر رضي الله عنه : هنيئا لك أبا الحسن أصبحت ولي كل مؤمن ومؤمنة . وهذا حديث متواتر . له أكثر من سبعين طريقا في السنن والمسانيد والصحاح جمعها الحافظ أبو العباس ابن عقدة في كتاب اسمه كتاب (الموالاة) قال الحافظ ابن حجر . وأغلب اسانيده جيده . قلت . وبعض ناصبية هذا العصر زعم أنه حديث موضوع (٣) حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . من سب عليا فقد سبني . رواه احمد . وصححه الحاكم . اقول قد تواتر عن معاوية سبه لعلي عليه السلام فيكون سابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنص هذا الحديث الصحيح جاء في مروج الذهب مر ابن عباس رضي الله عنهما بقوم ينالون من علي ويسبونه فقال لقائده : (وكان قد كف بصره) أدنني منهم . فأدناه فقال : أيكم الساب الله ؟ قالوا نعوذ بالله أن نسب الله : فقال : أيكم الساب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا نعوذ بالله أن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : أيكم الساب علي بن أبي طالب ؟ قالوا : أما هذه فنعم ! (٣) قال : أشهد

---

(١) وهو حديث متواتر وان زعم بعض الناصبية أنه موضوع . وهذا الحديث يفيد خلافة علي ووصايته كما كان هارون خليفة موسى عليهما السلام ووصيه إذا غاب ، على أنه جاءت أحاديث في وصاية علي كرم الله وجهه تكلم عليها الحافظ الشوكاني في رساله خاصة وهي مطبوعة .

(٢) وفي بعض طرقه زيادة ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ، وقد تكلم على هذه الزيادة ابن تيميه في منهاجه بما دل على بغضه لحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين علي عليه السلام .

(٣) يلاحظ أن الذي جرأهم على هذا الإجرام معاوية . فهو داخل في قوله

لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سبني فقد سب الله ومن سب عليا بن أبي طالب فقد سبني ، فأطرقوا . فلما ولى قال لقائده : كيف رأيتهم ؟ قال : نظروا إليك بأعين محمرة نظر النيوس إلى شفار الجازر

قال : زدني . فداك أبي وأمي . فقال : —

خزر العيون منكسي أذقانهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال : زدني . فداك أبي وأمي . قال ما عندي مزيد . قال ولكن عندي : —

أحياؤهم عار على أمواتهم والميتون فضيحة للغابر (١)

« تاسعا »

نعم أصحاب الجمل يعتبرون مجتهدين مخطئين . لأنهم لما ظهر لهم الحق في جانب أمير المؤمنين عليه السلام . اعترفوا بالخطأ نادمين . ولم يحصل منهم سب ولا لعن . وقد روى عن الحارث الأعور . قال : كنت جالسا عند علي عليه السلام إذ جاء طلحة : فقال له علي مرحبا بك يا ابن أخي . أما والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى فيهم (ونزعنا ما في قلوبهم من غل) فقال له قائل : كلا . الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد . فقال : فلمن هذه الآية لا أم لك ؟ ! وعن علي أيضا في هذه الآية : أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم والمقصود أن معاوية لم يكن من المجتهدين المخطئين . ولكنه كان من الحاقدين الخاطئين (٢) والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ؟

---

(١) هذا لا يمنع من أن يصرح بأنهم كانوا في محاربته على باطل ، فقد سأله سائل : أيمكن أن يجتمع الزبير وطلحة وعائشة على باطل ؟ فأجابه عليه السلام إنك لملبوس عليك أن الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال . اعرف الحق تعرف أهله وأعرف الباطل تعرف أهله . وهذا الجواب يعتبر حجر الأساس في النقد الصحيح المبني على حرية الرأي في حدود دائرة الحق وهو إلى هذا لطمة للمقلدين الذين يقدسون آراء أئمتهم وإن خالفت الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)

(٢) الخاطيء هو الآثم لتعمده فعل المعصية قال تعالى « إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين » والخطيء هو الذي لا يتعمد قال تعالى « ربنا لا تؤاخذنا